

محمد مسعود فُشِكَة

# مَرْضَايْنِ السُّوَيْجَايِ

البطل الأبي الشهير بكفامه للطلّيان

الناشر

الفرجانك

ص. ب. ١٣٢

طبراس - ليبيا



محمد مسعود فُشيكَة

# مرضان السُّويحي

البطل الليبي الشهير بكفاحه للطلّيان

وفي الكتاب مجموعة من الصور التاريخية

الناشر  
الفرجانكي

ص.ب ١٣٢  
طرابلس - ليبيا

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة الكتاب ونظريته التاريخ

١ - على الرغم من أن رمضان الشتيوي أو السويجلي ، يعتبر أشهر زعيم طرابلسي ، وأشجع مجاهد باسل ، في الحرب الإيطالية الطرابلسية ، فإنه مع هذا الشأن العظيم ، لم يكن له من قبل تاريخ مستقل به وحده ، يشرح معالم رجولته الفذة ، وكفاحه الأمثل للعدو الغاشم ، ويوضح أوصافه الكريمة ، في اخلاقه الفاضلة ، وإنسانيته العظيمة ، وحبه للعدل والانصاف ومظاهر حياته الشعبية .

لذلك دفعتني مناقبه الغراء ، ودوى صيته الحميد بكل جهة ، أن أضع له هذا الكتاب ، بما أمكنني التحصل عليه ، من تاريخه الوافي الصحيح ، وهو سيذكر بالتفصيل سيرته العامة . منذ ولادته إلى آخر يوم في حياته ، ويتضمن عنه من الأسرار والأخبار ، والحوادث السياسية والحربية ، - ثم كذلك عن مغامرات والده الشتيوي وعن تراجم خلفاء رمضان من أسرته

الذين قاموا بعده بإتمام رسالته الجهادية - ما لم يسبق له نشر في أي كتاب آخر .

٢ - ونأمل من الذين قد يستاءون ، من صراحة الكتاب في كثير من الأمور الواقعية ، أن يدركوا بثقافتهم الواعية ، أن الحادثة التاريخية ، إذا مر عليها نصف قرن أو أزيد ، وكانت مسجلة في الوثائق والمستندات الرسمية ، لمراجعة الكتاب والجمهور وشائعة على الألسنة بالتواتر ، ومنشورة في المطبوعات ، أصبحت الحادثة المستاء منها والحالة هذه ملكاً لتاريخ الأمة التي وقعت بأرضها ، وحقاً اطلاعياً لأجيالها الحاضرة والمستقبلية ، وليس للأفراد العاطفيين أو الجهويين ، المنتسبين لأحد فرعي الحادثة ، العذر إذا ما استفزهم الغضب لذكرها ، لأن تطاول عهدها الزمني ، وتسجيلاتها الذائعة الأخبار ، قد فوتت عليهم أي استياء أو احتجاج من التصريح بها .

٣ - وترجمة أي انسان عظيم ، إذا خلت جوانب حياته ، مما كان فيها أو يلبسها من أعمال خيرة أو سيئة ، وأيام بهيجة أو أليمة ، تغدو بهذا الغلو ، ترجمة ببراء ناقصة لا قيمة علمية ولا أدبية لها .

هذا . وصراحتنا في حقائق التاريخ لم نتخل عنها في الماضي ، حتى إبان الحكم السنوسي والنفوذ المنتصري ، إذ لم يجرؤ وقتئذ داخل ليبيا غيرنا ، بإيضاح الخصام بين السنوسيين ورمضان السويحلي وأسبابه ، وذكر براءة رمضان من اغتياله أبا القاسم المنتصر ، كما هو موجود في كتابنا ( تاريخ ليبيا العام الجزء الثاني صفحات ١١١ - ١١٢ ) .

٤ - ومصادر هذا الكتاب مستقاة ، من المراجع العربية

والتركية<sup>(١)</sup> والإيطالية المترجمة ، والمتكلمة عن رمضان السويحلي ، وصلته بغيره قبل الغزو الإيطالي وما بعده ، ولكن أكثر معلوماته مأخوذة ، من روايات عن طائفة من زعماء المجاهدين ، الأمناء في أقوالهم ، النزهاء في أخبارهم ، ممن شاركوا رمضان حياته النضالية والسياسية ، كالمرحومين شقيقه أحمد بك السويحلي ، والتهامي بك قَلِيصَه ، صديق رمضان الحميم ومستشاره المخلص ، وذلك الأخذ عندما كنت طالباً بالقاهرة ، وكنا هما والمرحوم أحمد بك المريض زعيم ترهونة ، مهاجرين بالفيثوم حوالي سنة ١٩٢٦ م .

٥ - ثم استقيت بعد ذلك ههنا في طرابلس ، معلومات قيمة جداً وفريدة ، عن رمضان ووالده الشتيوي ، من ابن شقيق رمضان ، الحاج الشيباني أحمد السويحلي ، ومن الحاج الفيتوري السويحلي ، وهو ابن عم رمضان ، وكان متزوجاً بأخت رمضان ، ووالده هو الفارس الشهيد عمر شقلوف السويحلي ، وكلاهما ( الشيباني والفيتوري ) عاشا حياتهما في أسرة رمضان ، ويعيا عهده تماماً حضوراً وأخباراً ، وهاجرا مع أحمد بك السويحلي لمصر ، ثم بعد الحرب العالمية الثانية عادا معه للوطن ، وقد أقسما لي بمحض إرادتهما ، بأنهما لن يحدثاني عن رمضان ووالده الشتيوي ، بغير الحقائق التي يعلمانها عنهما ، وإني لمقدر شهامتهما على موقفهما معي ، بذكر الحق ولو على أنفسهما ، كما أشكر الحاج سالم بن المرحوم محمد بك الصغير المريض لما مدني به من الحقائق الصحيحة عن ترهونة .

---

(١) بهذه المناسبة يشكر المؤلف الزميلين الفاضلين الحاج محمد الأسطى ، والأخ عبد السلام أدهم ، المترجمين عن التركية ، في دار المحفوظات التاريخية والأثرية ، بقلعة مدينة طرابلس على ما عرباله من الوثائق والمستندات التركية الخاصة بموضوع هذا الكتاب ، وهما مؤرخان أيضاً .

٦ - ومن غير أولئك وهؤلاء ، ففي أثناء تجولي بالنحاء ولاية طرابلس بصفتي سابقاً مفتشاً عاماً للمواد الاجتماعية بالمعارف ، فقد روى لي عن رمضان من عرفوه شخصياً ، أو من سمعوا عنه من أسلافهم ، الذين اجتمعوا به وحضروا أيامه ، وكان ظاهرهم النزاهة والصدق ، ومع ذلك فقد اهتمت كثيراً بموازنة صحة تلك الروايات من عدمها ، المأخوذة بالمشافهة أو بالسمع ، ولم أثبت منها في الكتاب سوى التي اطمأنيت إلى تمحيصها التاريخي ولم تسقط بالغربة القوية . ومع هذا فكثيراً ما تجدني أعزو الرواية ، في ذيل الصفحات المتحدث بها ، للأشخاص الذين نقلتها عنهم بذكر اسمائهم وأوصافهم ، زيادة لتوثيق الرواية والنقل .

٦ - وتاريخ رمضان في الحقيقة ، انه من ناحية أخرى كما سيأتي بيانه يعتبر تاريخاً شاملاً للزعماء والابطال وأدوار الجهاد الباسل والتطورات السياسية ، في قطري طرابلس وفزان خلال الحقبة الأولى من الغزو الايطالي للبلاد ، ما بين سنتي ١٩١١ م و ١٩٢٣ م ، وهو المرآة الصافية اثناء ذلك لنضال هذا الشعب الأبي ، حفاظاً على تراث آبائه وأجداده ، ومرآة لما بذل في سبيل عزته وكرامته ، من التضحيات الجسام بالأنفس والأموال وحيداً وما قوله كذا ومعه الصبر .

المؤلف





## الفضل الأول

### لمحات هامة عن الشتيوي وسطوته

#### الاسرة السويحلية وعميدها :

وقبل أن ندخل في التحدث عن ترجمة رمضان ، ولكي نتصور فيما بعد حقيقة سجاياه المفطور عليها ، بحكم الوراثة عن أبويه وأسلافه ، فإنه لهذه الأسباب ، يحسن بنا أن نتكلم عن أصل أسرته ، والتعريف بشخصية عميدها الصلب العاتي ، الشتيوي بن أحمد بن مفتاح السويحلي ، وهو والد رمضان صاحب الترجمة .

فالأسرة السويحلية بمصراته ، تنتمي أصلا إلى قبيلة يدّر<sup>(١)</sup> الكورغليّة ، وهذه اللفظة الأخيرة تدل في شمال ليبيا ، على فريق من سكانها المنحدرين منذ نحو خمسمائة عام ، عن آباء من الولاية والقادة والجنود الأتراك ، وأمّهات لبيبات بزواج شرعي ، وذلك حين طرد هؤلاء الأسبان من طرابلس سنة ١٥٥١ م وضموها إلى حكمهم أسوة بالمشرق العربي زمن السلطان سليم الأول سنة ١٥١٧ م .

وكانت الأسرة مقيمة ( بييدّر ) ، ولما حصل لأفرادها منازعات وجفاء

---

(١) كلمة يدّر : بكسر الياء وتشديد الدال وكسرهما .

مع أقربائها من عائلة الأدغم ، حكام مصراته المحليين قديماً ، نزح رجالها ومنهم عميدها الشتيوي إلى زاوية المحجوب ، الكائنة بالشمال الغربي من مصراته فامتلكت في موطنها الجديد أراضي واسعة ، عمرتها بالبناء والشجر والزراعة واقتناء المواشي .

وكانت ولادة الشتيوي نحو سنة ١٢٦٣ هـ الموافقة لسنة ١٨٤٣ م وتزوج أولاً بإحدى قريباته <sup>(١)</sup> ، وتصادف ذات يوم بينما هو على ظهر جواده ماراً به في قرية الزاوية ، وقع ظِلُّه على فتاة عربية الزي ، سافرة الوجه اسمها ( منى ) بنت الحاج سالم الكريك ، كانت تحبز على التنور ، أمام منزلها داخل سانيته ، فلما التفتت فجأة ورأت صاحب الظل ، لم توجس في نفسها خيفة منه ، بل قالت له بكل شجاعة وطمأنينة ، على سلامة هذا الفارس ، وبادرت فناولته رغيفاً ساخناً من خبزها ، إذ كان للفارس عند اللبيات القدامى ، شأن كبير من الاحترام والتقدير ، ولا سيما لذي المروءة والأصالة ، وكذا الفارس فإنه كان يعتبر ، أي فتاة أو امرأة ، بمثابة شقيقته أو أمه ، في إجلال مكانتها والحرص على صيانة شرفها وكرامتها وأعجب الشتيوي بقوام ( منى ) الرشيق ، وجمالها الرائع ببياضه الناصع ، وثبات قلبها وفصاحة منطقها ، فسرعان ما عرف لمن تكون ، فخطبها من شقيقها ( الشتيوي الكريك ) ، وتزوجها حوالي سنة ١٢٩٣ هـ وعمره وقتئذ حوالي ٣٣ سنة ، وطلق امرأته الأولى ، ولقد كانت له ( منى ) خير قرينة مثالية ، بأدبها وأخلاقها الحسنة ، وفي قيامها بمسئوليتها العائلية الكبيرة ، وفي توجيه أبنائها للاعتماد على أنفسهم في الحياة ، والاتصاف بالصدق والشجاعة ،

---

(١) عن فرج بن محمد الجريو الزريقي كان يسكن في الزاوية قرب منازل الشتيوي ، ثم صار من المجاهدين المقربين إلى رمضان وخاصته وتبصر مجاهداً في إحدى المعارك للطلليان .

وهي أم كل من رمضان وأحمد وسعدون وفاطمة وأم السعد .  
مغامرات الشتوي وظروفها :

والشتوي كان كامل الأوصاف الجسمية ، ناصع البياض ، واسع  
المقلتين ، مهيب الطلعة ، ومن ناحية الطباع النفسية ، كان قوي  
الإرادة ، شجاعاً مقداماً ، لا يثنيه عن طلب مآربه ، أية صعاب  
وأهوال ، ولما بلغ عنفوان شبابه حوالي سنة ١٢٨٨ هـ و ١٨٧٤ م قد  
رأى وسمع ، أسوأ الأحداث في العهد التركي الأخير ، وأقساها حياة  
اجتماعية ، ففي هذه الفترة من حياته ، مرت به أخبار غومة الحمودي  
وثورته ، والاضطرابات المحلية والقبلية ، المتفاقمة بكل جهة من طرابلس ،  
وكان الفساد الحكومي من الاختلاس والرشوة والمحسوبية ، متفشياً في  
جميع الدوائر الرسمية ، وفي أواخر السنة المذكورة ، انقطع نزول المطر  
المعتاد في الموسم الشتوي ، فسبب للمزروعات المحروثة جفافاً كبيراً ،  
وانعدمت به المحاصيل من الحبوب الغذائية ، ونفقت الأغنام ونذر إنتاجها  
ليبس المراعي ، وتبع ذلك مجاعة رهيبة في البادية وقرى الأرياف ، وتفشت  
فيها الأمراض والأوبئة .

وكان من أثر هذه الأوضاع السيئة والأحوال المجاعة ، أن قام كل  
مغامر مسلح جريء ، بالسطو ليلاً على بيوت الفلاحين الأثرياء ، وإرغامهم  
على مشتراة أرواحهم منه ، بتركه يفتصب ما عندهم من التبر واللجين بلا  
ممانعة ، وأما في البادية فقد كانت تعدياتهم ليلاً ونهاراً ، بغزو الإبل  
السارحة في المراعي ، وسوقها إلى بلاد نائية ، وبيعها هناك بعد أن يُغيّروا  
سماتها الأولى ، ووضع سمات أخرى مكانها ، تضليلاً عند بيعها بأنها  
ملكهم .

وكان في مصراته من أخطر هؤلاء الغزاة المغامرين ، المحلين بالأمن

وراحة الناس ، المتمردين على القوانين والحكومة ، هو الشتيوي السويحلي والد رمضان ، والظاهر أنه في بادئ الأمر ، 'نهبت' له البعض من إبله السارحة في البادية ، فأراد أن يعمل بالمثل القائل « إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئب » فصار هو أيضاً يسطو على غيره ليُرهب ، وليتنحي المغامرون عن مواشيه ، ثم بعد ذلك اعتزازاً منه بمخاطر الفروسية المتغلبة دائماً ، والسائدة بين فتوة زمانه ، لم يلبث أن اتخذها هواية بمنزلة الحرفة له .

ثم تحالف مع الكثير من غزاة الإبل الخطرين ، يرسلون إليه غزوهم فيبيعه لهم في مصراته ، أو يرسله بمعرفته لبيع لهم في جهات بعيدة ، وكان من شركائه الكبار في هذه الصفقات ، مغامر ترهونه الكبير في زمانه المسمى « محمد أبو غرارة » ، ثم تحالف عملياً مع أشجع وأفرس مغامر شهير ، في الجهة الغربية من أهالي الزاوية الغربية ، وهو المسمى « عمر دربوك » ، وينتسب فيها لقبيلة أولاد صقر .

ومما يدل على تجبر وعتو هذا المغامر القصة الآتية : فقد وعد<sup>(١)</sup> الناس مغامر آخر اسمه الوريّمي بكسر شوكة دربوك ، في صميم أرضه وبين أقربائه ، وسمع هو بما قاله عنه ، وإذا هما في إحدى أسواق الزاوية العامة ، يتلاقيان بلا ميعاد ، وعرف بالقرائن كل منهما صاحبه ، وأمام الجميع من الناس المكتظين بالسوق ، هجم دربوك على الوريّمي ، وقابله غريمه بالمثل غير هباب .

ونشب بين الاثنين صراع بدني ، كاد لشدة من الحقد والغیظ أن

---

(١) الوريّمي بكسر الواو وسكون الراء وفتح الياء وتشديد الميم ، والقصة مروية عن ( الحاج علي الرمحي ) نسبة إلى قبيلة الرمجة في الزاوية الغربية .

يحطم عظامها ، والناس من حولها يتفرجون مستغربين ، وانجلي التلاحم  
الشرس بينها ، بانتصار دربوك على الوريبي ، فسلبه غدريته وانتزع  
ملابسه الفوقية واغتصب منه حصانه وكاد لولا تداخل البعض لحماية  
الوريبي أن يفتك به .

ورجع المهزوم إلى قبيلته « وريمة » بتلك الحالة المزرية ، وتأثر أهله  
وأبناء عشيرته مما حصل له ، ومن الاهانات التي لحقتهم في سوق الزاوية ،  
بسبب غروره وإعجابه بنفسه وقوته ، ثم جاء أفراد ومشايخ من قبيلته  
إلى « عمر دربوك » ، يرجون من شهامته أن يرد إليه ما سلبه منه ،  
والطريف في المسألة أنه قبل وساطتهم ، فأعطاهم ثيابه وحصانه ،  
وأما الغدرية فتأسف لهم لعدم وجودها معه ، قائلاً إنه باعها وشرب  
بشمنها « لاقبي » أي مسكر .

#### دربوك والشتيوي والتوبة :

ولما تحالف عمر دربوك والشتيوي السويحلي ، ذاع صيتها الخيف  
بالشجاعة والجرأة النادرة ، في كل جهة من بادية طرابلس شمالاً وجنوباً ،  
وكانا يغيران على قطعان الإبل ، غير مباليين بكثرة رعاتها المسلحين ،  
لأن هؤلاء حين يرونها يعتريهم من الخوف انهيار عصبي وفقدان الجسارة  
عليها كروية الشاة للضبع ، حتى صار الاثنان محتكري النهب والسلب  
لماشية الإبل السارحة في البر ، وازداد الخوف من الشتيوي بعد أن  
قتل أخاه كيوسف باشا الذي قتل أخاه كما سيأتي . ولكن حادثة<sup>(١)</sup> جرت  
للشتيوي ليلاً ، كانت هي السبب في إنابته إلى الله وترك المغامرة بالتعدي

---

(١) والرواية عن الحاج الشيباني أحمد السويحلي وهو حفيد الشتيوي حليف دربوك ، ويقول  
بعد توبة جده ترك مغامراته بتاتاً بسبب هذه القصة . وهناك في أرض وزفلة جهة تسمى حتى  
الآن ( قرارة دربوك ) كانت أحد معاقله في غزواته .

على أرزاق الناس في البر والحضر . ففي إحدى المرات بعثه صاحبه الصقري ، ليتتبع قرب المساء مسيرة إبل متجهة غرباً نحو تونس ليهجها عليها ويرجعاً بما يتمكنان منها ، وفيما هو ماش خلف مسيرته متوارياً عن الأنظار ، سمع بعد غياب الشمس من بناء خارجة منه أصوات غناء ( ومَقْرُونَة ) وطرب ، تدل على أن أصحابها داخل البناء جماعة كبيرة وهم في ساعات فرح ، فدخل المكان بدافع الاستطلاع ، ووجدهم يتصدرهم رئيسهم وسراج يضيء المحل أمامه ، فسكّم عليهم ولكنهم بدلاً من أن يرحبوا به ازدراه رئيسهم ، وفاجأه قائلاً : تقدم أيها البدوي الأبيض وأرنا رقصتك ، فاعتذر له الشتيوي بعدم معرفته في حياته الرقص ، واعتبر هذا الطلب في سره إهانة لكرامته واحتقاراً له ، وحمد الله كونهم يجهلونه ، وأصر رئيس الجماعة على طلبه بما يشبه التهديد ، عندئذ تحرك دم الشهامة برأس الشتيوي ، ونوى في نفسه شراً وخيماً لمحتقره ، وكان يخفي دائماً في حزامه ( قشطته ) غَدْرِيَّة صغيرة ، فأجابه حسناً فقل لهؤلاء أن يرددوا عليّ إنشادي أثناء الرقص ، وهز كبيرهم رأسه علامة الموافقة ، وصاروا يعاودون ألفاظه وهو يقول :

حي يا دائم حي يا دائم      طرططشها ما عاد اتلايم

ثم تقدم مسرعاً نحو السراج ، فأطفأه بنفخة واحدة قوية ، وعندما أظلم المكان وكان هو قرب رئيسهم ، انتزع ( غدريته ) من وسطه وأفرغها في صدره ، وفر من الباب إلى الخارج يعدو كالغزال ، تاركاً القوم وراءه يكتنفهم الظلام الدامس والفوضى ، ولما وصل إلى رفيقه الصقري ، وهو يكاد يسقط على الأرض من إعياء الجري ، أخبره تفصيلاً بما حصل له بعد تركه ، وأدرك الصقري خطورة فعلته ، فبادر وأعطاه جملاً سريع الخطى كالمهاري أركبه عليه قائلاً له : هيا وابتعد كوميض البرق من هذه الجهة قبل طلوع الشمس ، واقصد بلدك بلا إبطاء خوفاً من أن يلحقوا بك .

وهكذا فإن المناداة عليه ليرقص ، وهو الفارس الأبي عن احتمال المذلة والقهر ، كانت هي السبب الوحيد ، في هجر مغامراته بالبر والحضر ، والتزامه بعد ذلك العناية بتنمية ثروته الطائلة ، في العقارات الفلاحية ، وأراضيه الحراثية الواسعة للزراع الشتوي ، وتربية الماشية في المراعي الخصبة ، وخاصة الأغنام والبقر والإبل ، ومن الناحية المالية كانت خزائنه معبأة بقطع الذهب والفضة .

ومما يدل<sup>(١)</sup> على مروءة الشتيوي واعترافه بالجميل ، أنه لم ينس شهامة صديقه وزميله عمر دربوك معه في تلك الليلة ، التي أنقذه فيها من مطاردة خصومه ، ليأخذوا ثأرهم منه لرئيسهم الذي قتله ، فأوصى أبناءه أنه إذا اتصل بهم وهو غير موجود ، بأن يكرموا وفادته ويحسنوا إليه . ويقدر الله أنه بعد القَرَضَابِيَّة ، بينما كان رمضان أثناء حصار مصراته كما سيأتي ، يشرف على معركة مع الطليان بطريق قصر حمد ، إذ جاءه بعد وفاة أبيه عمر الصقري الملقب بدربوك ، وكان قد سمع بصيته الكبير ، في جهاده الباسل للعدو ، فلما عرفه بنفسه ، تلقاه رمضان ، بكل بشاشة وترحاب ، وبالع في إكرامه وضيافته ، وحين طلب العودة إلى الزاوية الغربية ، وكانت حالته تدل على الاحتياج ، أجزل له العطاء والهبة ، فرجع إلى وطنه ولسانه يلهج بالثناء على رمضان ، لأنه وجدته فارساً معطاء ، تفوق عن والده كرماً وغيرة وشجاعة .

### فتك الشتيوي بأخيه :

ولمناسبة تلميحنا عن قتل الشتيوي ويوسف باشا لأخويهما ، فمن عظات التاريخ الليبي البليغة في العصر الحديث ، أنه أيام العهد التركي عندما

---

(١) الرواية عن الحاج الشيباني حمد السويحلي وهو حفيد الشتيوي .

حصلت فيه فاجعتان أليمتان ، تجلى فيها حقد الإنسان الدفين ، حتى على أخيه الشقيق ، لأن هذا كان أحق منه بالحكم أو الإرث ، فقتله بسبب ذلك حباً وشهوة غريزية في متاع الدنيا الزائل الغرور ، وكالجبابة الميكيافلين ، تماماً ، الذين في سبيل الوصول إلى مآربهم الأشعبية ، يرون أن الغاية تبرر الوسطة .

فالفاجعة الأولى صاحبها ( سنة ١٧٩٨م ) ، أمير من الأسرة القره مانلية وهو يوسف باشا ، فلما رأى أن أخاه حسن بك ، أحق منه بعد أبيهما « علي الأول » بمنصب الحكم بصفته الأكبر سناً ، تملك يوسف غريزته الشريرة بحب السلطة ، وليصل إليها قبل شقيقه حسن ، قتله بسيفه البتار ، وهو بحجر أمه يستغيث بها أن تنقذه من بطشه ، وكان ليوسف ما أراد من هذه الجريمة النكراء البشعة ، إذ تولى الإمارة القره مانلية في السنة المذكورة ، بعد أن فر من وجهه أخوه الآخر أحمد بك إلى مالطة ، وكان يلي حسن بك في ولاية العهد .

وأما الفاجعة التالية <sup>(١)</sup> ، فإن أبناء أحمد بن مفتاح السويحلي ، وهم الشتيوي ومحمد فتولة وحفصة ، قد ورثوا عن جدهم ووالدهم ، أراضي زراعية شاسعة وسواني فلاحية كثيرة ، والظاهر أنه عند التقسيم لإرث جدهم وأبيهم ، أراد الشتيوي أن يأخذ نصيباً أكثر منهم ، أو هم أرادوا ذلك ، ولعدم تراضي الطرفين بهذه الحصص ، ثارت أولاً حفصة بوجه شقيقها الشتيوي غاضبة ، وكأنها في ثورتها النفسية عليه ، أسمعته ألفاظاً أهاجت النخوة والعزة في رأسه ، فبادلها الكلام بما هو أقسى ، ولما انتصر لها أخوه فتولة وابنهما إبراهيم ، جرت بينهم مشاجرة حامية الوطيس بالتلازم الصراعي ، ثم بالتضارب الدموي العنيف ، وبحالة لاشعورية أنهى

---

(١) الرواية عن الحاج الفيتوري السويحلي .

الشتيوي المعركة بقتل كل من أخيه فتولة وإبراهيم ابن حفصة .

ولما<sup>(١)</sup> ثاب إلى رشده ، وأدرك فداحة الجرم العظيم الذي ارتكبه استيقظ ضميره بتأنيبه إياه ، التأنيب القوي الأليم ، على ما فعل بأخيه وابن أخته ، بسبب عرض دنيوي زائل ، ولديه منه ما لا يحصى ولا ينفد بطول الزمن ، فراح<sup>(٢)</sup> يذرف الدمع المدرار ، كلما تذكرهما وأثارت عواطفه بنفسه الندم اللاذع ، والتأثر المضي لما جنته يداه عليهما ، وموقفه الحزين هذا يتمثل فيه تماماً قول الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً

فالظلم آخره يُفضي إلى الندم

ثم اشتد عطفه وإشفاقه الحنون ، على أولاد أخيه القليل ، فضمهم إلى أسرته واعتبرهم كأبناء صلبه ، وزوج ابنته فاطمة ، إلى مفتاح ابن أخيه فتولة ، ورزق منها بولد سماه فتولة على اسم أبيه القليل .

هذا وقد عرف عن الشتيوي أنه حاتم السخاء والبذل ، نصير للضعفاء باراً بالفقراء ، وكان<sup>(٣)</sup> كثير الاعتقاد بكرامات ، ولي الله سيدي المحجوب ، صاحب الزاوية المشتهرة باسمه في تلك الجهة ، ومع ذلك فقد كانت متصلة فيه نخوة الرجولة وعزة النفس ، وعدم الغفران لأي مساس بكرامته وشرف أسرته ، كما كان شديد الحرص على أعراض الناس ، ولا سيما المجاورين لأملأكه في زاوية المحجوب ، وبلغ<sup>(٤)</sup> من نفوذه وإرهابه القويين ، لدرجة أنه لم يستطع أي أحد في وقته ، أن يرعى مواشيه

---

(١) عن الحاج الشيباني السويحلي .

(٢) عن الشيباني أحمد السويحلي .

(٣) عن الحاج علي الضراط .

(٤) عن الحاج علي الضراط .

أو يحتطب من الكشبان الرملية « القيزان » الممتدة على الشاطئ من محلة  
الزاوية إلى أوائل زليتن ، لاعتباره إيّاهما ملحقة بأرضه ، أو بالأحرى داخلة  
تحت سلطته .

### نمو صيته بالكرم والجود :

وعلى الرغم مما عرف به الشتيوي في حياته ، من المعاصي والمظالم الجمة ،  
واجترأحه الذنوب الكبرى ، فإنه من النواحي الإيجابية الأخرى في  
سيرته الرهيبة ، قد كان فزاعاً لنصرة الضعفاء ، جزيل البر بالفقراء ،  
وكان حاتمي الكرم والجود ، حتى راح مضرب الأمثال ، في تصديه  
ليُقري الأضياف ، جماعات وفرادى من الأعيان والوجهاء ، الذين يعبرون  
السبيل ذهاباً وإياباً قرب بساطينه أو حي بيوته .

وأن الحادثة الآتية لتعتبر أصدق دليل على صحة ما عزوناه للشتيوي  
من سجية الكرم الحاتمي فيه ، لمحض المروءة والشهامة ، المتصف بها  
عادة كل المغامرين الخطرين أمثاله ، ففي حوالي سنة ١٨٨٧ م أقام<sup>(١)</sup>  
الأداغم بمصراته لزواج أحد أبنائهم ، فرحاً عظيماً بأيام وليال سارة ،  
فدعا رئيسهم وقتئذ محمد الصغير الأدغم ، أصهاره آل المريض بترهونة ،  
أن يتفضلوا بمشاركتهم بتلك المناسبة ، فلبوا الدعوة وأوفدوا لهم أربعين  
فارساً ، يتقدمهم محمد بك الصغير المريض<sup>(٢)</sup> .

---

(١) منذ قيام فرح الأداغم بمصراته لزواج أحد أبنائهم إلى استضافة الشتيوي لفرسان  
ترهونة ثم رجوعهم لبلدهم ، هو من رواية الحاج سالم المريض بن محمد بك الصغير المريض .

(٢) جرت عادة الطرابلسيين بالأرياف ، إذا وجد في العائلة شخصان ذكوراً أو أنثاء انفقا في  
اسم واحد ، كمحمد وفاطمة مثلاً : أن يوصف المولود تالياً بهذا الاسم أيضاً بالصغير تمييزاً له عن  
سميه الأسبق ، ومن هنا قيل محمد الصغير الأدغم ومحمد الصغير المريض ، وفاطمة الصغيرة وخديجة  
الصغيرة .. الخ .

ولما انتهت أيام ومباهج العرس ، رجع قبيل العصر أولئك الفرسان  
الأكابر إلى ديارهم ، وتصادف أن كان طريقهم من زاوية المحجوب ،  
بجانب كثيب زمل يقع بأرض الشتيوي ، وإذا هو يفاجئهم واقفاً  
بأعلى الكثيب وسلاحه بيده وصرخ فيهم بصوته الجمهوري قائلاً : قفوا  
مكانكم أيها الفرسان وإلا فالنار بيني وبينكم .

ذلك أنه رأى حسب العرف بين صناديد الرجال ، وأرباب السخاء  
والشهادة ، وقد مروا بناحيته قرب المساء ، أن لا يدعهم يتخطونه دون  
أن يحظى بشرف تكريمهم وضيافتهم ، وبعد أن عرفوه سرعان ما  
أدركوا المغزى المقصود ، من إنذاره الفكاهة الحبيب ، فانفجروا ضاحكين  
ضحك السرور والارتياح ، وعندما أمسكوا الأعنة عن السير ، انحدر  
إليهم من رأس الكثيب ، بالوجه الطلق البشوش ، وألفاظ الحفاوة  
والترحيب ، وترجلوا هم عن خيولهم السباقية الأصلية إشارة لقبول  
رفده .

وبعد أن تبادل مع رئيسهم ورفاقه سلام الأخوة ، بالمعانقة  
والمصافحة ، وتحيات المودة والصفاء ، أنزلهم في مرابيع استقبالاته  
الأنيقة بناء وفرشاً ، وبادر فريق من خدمه وعماله إلى الخيول فربطها ،  
بالسواني وعلق لها في مخاليها أنقى وأوفر الشعير علوفة ، وأسرع فريق  
آخر منهم ، فاستخرج من حظائر الأغنام أصغر وأسمن الخراف ،  
فذبحت وقدمت لحومها لمطابخ الأسرة ، وأعد بها عشاء للضيوف ، وكان  
من ألد وأفخر أصناف الأطعمة لذة وشهية .

وبعد أن أمضوا نصف الليل ، مع الشتيوي وأحبابه من جيرانه ،  
في مسرات اجتماعية عامة وحكايات بهيجة ، باتوا ليلتهم مغتبطين هائثين ،  
وفي صباح اليوم التالي ، عندما أتموا فطورهم الدسم ، استأذنوا مضيفهم

بالسفر لتأخرهم كثيراً بسبب الفرح المذكور عن ديارهم ، واستجاب  
عذرهم فأسرجت خيولهم وجيء لهم بها ، وودع محمد بك وإخوانه  
الشتيوي وناسه وداعاً حاراً ، ورجعوا خيلاً نحو ترهونة ، وألستهم  
تلهج بإطراء كرمه الحاتمي وفروسيته الأخاذة المعطاءة .

قال الشاعر :

يُغَطِّي بالساحة كلُّ عيب  
وكم عيبٍ يغطِّيه السخاءُ

## الفصل الثاني

### حياة رمضان العامة بمصراته نشأته وأحوال شبابه

#### نشأته وأحوال شبابه :

ولم يكن من أولاد الشتيوي مشابهاً له في الصفات الجسدية والشجاعة وقوة الإرادة ، سوى ابنه رمضان ، وقد ولد سنة ١٢٩٧ هـ الموافقة لسنة ١٨٨١ م ، ( أيام الولاية الثانية لعزت باشا على ليبيا ) ، ولما صار طفلاً واعياً ، ادخله والده لمعهد زاوية المحجوب الديني ، وبذكائه الفطري الحسنة حفظ القرآن ، قبل أن يصل لسن الرشد ، وبعد ذلك أخذ مبادئ من الدين الحنيف ، وفي نحو السادس عشرة سنة ( ١٦ ) من عمره ، لكي يتم دراسته العربية والدينية ، انتقل إلى معهد سيدي أحمد الزروق الشهير بمصراته الشرقية ، فازداد فيه تعلماً وتحصيلاً بدرجة ممتازة ، وكان من اساتذته الكبار فيه ، الشيخ العلامة رمضان أبو تركية وغيره ، وبعد تخرجه من الزروق ، رجع للزاوية وابتدأ يساهم مع والده وأخوته ، بأعمال الفلاحة في سوانهم

(بساتينهم) الكثيرة ، ويقوم معهم بالحراثة الشتوية بأراضيهم الواسعة في البر ، وتربية المواشي بمراعيها الخصبة وفي هذه الأثناء تمهر بأعمال الفروسية والرماية .

ثم أن بعض الناس لا يبرئون رمضان في أيام شبابه ، من العبث والمجون والغزو الصحراوي ، ونحن في الحقيقة حتى الآن لم تتوفر لدينا أدلة ، على قيامه وهو فتى يافع ، بمغامرات في البادية كوالده<sup>(١)</sup> ، غير أن هناك حادثة تعزى إليه بهذا الخصوص ( بعد وفاة أبيه ) ، ولا يعترف هو حصولها منه بنية سيئة ، وهي تهمة اعتدائه بالسرقة الناهبة ، فقد حصل له بأوائل الاحتلال الإيطالي بمصراته ، أن أخذ جملين شاردين ريثما يهتدي لصاحبها وكانا لأحد أثرياء (يدر) وهو أبو بكر الشاوش ، فلما عرف أنها عند رمضان اتهمه بسرقتها ، وأراد أن يشكوه للحكومة ، فبادر ( أبو بكر بو دبوس ) من أعيان مصراته التجار وصديق رمضان ، فتوسط بينهما بالتي هي أحسن ، وارجع الجملين لأبي بكر الشاوش ، ومن اتصاف أبناء وذرية ( منى ) بقول الصدق ، أن حفيدها فتولة ولد بنتها فاطمة ، هو الذي اعترف لأبي بكر الشاوش ، بوجود جمليه بين إبلهم ، واعترافه هذا ليس فيه ما يشعر بسرقتها وشروء الحيوانات وامساكها لظهور أصحابها ، أمر متعارف عليه بين الفلاحين في البر والحضر .

وفي حياة والده الشتيوي ، كانت زوجته الأولى فتاة حسناء أصيلة الحسب والنسب ، كريمة المنبت والأخلاق ، وهي السيدة فاطمة بنت الحاج خليل السويحلي ، ورزق منها بنتاً اسمها خديجة ، وولداً اسمه إبراهيم ، ولما توفيت فاطمة أورثت قلبه حزناً عميقاً ، لحرمانه من عطفها وآدابها

---

(١) رواية الحاج الشيباني أحمد السويحلي وذلك عن حادثة الجملين .

فتزوج بعدها فتاة أخرى (يدريّة) أيضاً، لا تقل عن الأولى نبلاً وجمالاً ومكانة وجيهة هي السيدة (للاًهم) بنت محمد بن التيمّي (بتشديد الميم وكسرهما) ورزق منها بنتاً اسمها عائشة .

ونظراً لأن الشتيوي كان قليل الذهاب للمواطنين ، خوفاً من مطاردة الجند التركي إياه ، بسبب مغامراته المشهورة ، وإذا اضطر لها فانه يذهب متوارياً عنهم ، لذلك كان ابنه رمضان ، يتولى دائماً بدلاً منه ، قضاء الاحتياجات الهامة للأسرة ، وكان يأخذها في بعض الأحيان ، من المسمى الزعلوك أحد تجار قبيلة الدرادفة ، القائمة مساكنها في المواطنين ، وفي غالب الأوقات كان يأخذها من يهودي غني اسمه « عقيبة القفصية » وهو تاجر كبير في جميع السلع ، وخاصة في المواشي والأغنام ، بين مصراته وبينغازي ومصر ، وكان العميل الأول للشتيوي ، في شراء ما يجلبه للسوق من قطعان الابل وتصريفها ، وهذه المناسبة كانت بينه وبين رمضان صحبة وثيقة ، ووجهات نظر متقاربة في الرأي أو متوافقة ، عن أحوال مصراته العامة . وخاصة منها الأوضاع الاجتماعية في عاصمتها المواطنين .

وفي ذلك الحين كان من أشهر أغنياء وملاك مصراته وأقوام نفوذاً « عمر بك المنتصر » زعيم قبيلة الكوافي ، وكان يحوز أهم العقارات بمنازل وأسواق المواطنين ، وأراضي زراعية وسواني فلاحية لا حصر لتعدادها ، فضلاً عن مباني مدينة سرت ، ومنطقتها الحراثية والرعوية . وكان له أربعة أولاد ، هم أحمد وسالم وأبو القاسم وعبد القادر ، وبينما كان ابنه أحمد ، أعقل أولاده وأكثرهم ثقافة ، وكان قائماً للعجيلات ثم لترهونة ، وكان أخوه أبو القاسم ، قد صدق فيه قول الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسده

ومعنى هذا أن الشاب إذا توفر له المال ، وحياة البذخ والنعم ، ولم يكن

له عمل مسئول عنه ، أو حرفة تشغل فراغ يومه ، يتجه بدلاً من ذلك إلى ممارسة النزوات النفسية والميول السيئة ، التي لا يعصمها دين ولا يخيفها أحد ولهذا كان بالقاسم يجترح المويقات ، من الخمر والنساء واللهو والطرب ، متخذاً نفوذ والده الكبير ، وارشائه بالذهب والفضة الناس والموظفين ، درئاً له من أي قصاص شرعي أو قانوني ، حاسباً أن حرمان البشر كلها ، مهياة لمتعته ولذاته ، ومما يزيد في سلوكه هذا شناعة وقبحاً ، أنه وهو منغمس فيه كان مخلصاً ، أي له زوجتان من أظهر بنات عمه شرفاً ، وأجملهن صورة وأدباً ، هما السيدة وزيدة بنت مصطفى المنتصر ، والسيدة آمنة بنت علي السنوسي ، ورزق منها وولداً وبنتاً .

ولا غرو بذلك فإنه ما من بلد أو بيئة أو أسرة ، إلا وفيها الفاجر الشقي ، والصالح التقي ، فإذا شذ فرد منتصري كالذي نتحدث عنه ، فإنه للحقيقة والتاريخ ، كان في أيامه وما بعده ، مناصرة كثيرون من أبناء عمومته ، ظافرين من مواطنيهم بالتقدير الكبير والاحترام الزائد ، لحسن سيرتهم وأخلاقهم الكريمة وحياتهم الشعبية .

ومن هؤلاء المرحومين مثلاً ، الطيب بك المنتصر ، وكان من كبار الحفاظ للقرآن الكريم ، والحاج علي بك بن حسن المنتصر ، الذي تفرغ في زاوية أسرته بالمواطنين ، لخدمة كتاب الذكر الحكيم ، بتحفيظه لناشئة بلده وقد ختمه على يده مئات من الشباب المصراقي ، الذين هم الآن من الرجال العاملين ، في مختلف جوانب الحياة ، وبعد وفاته قام بنشر رسالته القرآنية ابنه الشيخ حسن المجيد لحفظه القرآن ، ومنهم الضابط المجاهد الشهير محمد بك بن حسن المنتصر ، وسيأتي عنه المزيد .

وفي هذا العهد من ثورة الفاتح من سبتمبر ، هناك الكثير من الشباب المنتصري لوطنيتهم وجدارتهم العلمية ، يشغلون فيها مناصب رسمية هامة ، وللدلالة على صحة ما نقوله مثلاً فإن منهم الوكيل الحالي لوزارة النفط ،

وقد سجن في العهد الغابر وعذب كثيراً في سبيل مبادئه الثورية المناهضة للاستعمار والطغيان ، ومنهم عالم ديني متخرج في الجامعة الأزهرية بالقاهرة وهو الآن من أركان الأمانة العامة للدعوة الإسلامية ، ومنهم شاب في « السلك الدبلوماسي » ، يشغل منصب سفير عام للجمهورية الليبية في أمريكا الجنوبية ومركزه الرئيسي الأرجنتين ، ولعل فيما تقدمت الإشارة إليه عنهم ، ما يوحى للقارئ نزاهاً فيما نكتب من الأبحاث التاريخية .

ورجوعاً لاستئناف الموضوع السابق ، عن التصرفات الشائنة لابن عمر المنتصر<sup>(١)</sup> ، ذلك الحين كان في المواطن فتاة يهودية فائقة الجمال ، والدها يحمل الجنسية الفرنسية ، وهو قريب النسب لـ « عقبة القفصية » ، فاعتصبها بلقاسم بحيلة شيطانية دبرت لها ، ونظراً لنفوذ والده الكبير ، وانتقامه هو بواسطة أعوانه ، ممن يفسدون عليه مزاجه الشخصي ، لذلك كظم والدها وعقبة ، ما يضطرب في نفسيهما من نيران الألم المبرح ، لفاجعتها باغتصاب فتاتها العذراء ، وحدث عقبة رمضان بالأمر الشنيع الذي جرى للفتاة ، وكان رمضان يدري قبله عن بلقاسم الشيء الكثير ، وعن سلوكه الانحرافي مع اليهودية ، وكان عقبة متأثراً جداً ، فنصحه رمضان بالصبر وكتان المسألة عن باقي الناس .

وكان لعمر المنتصر بقرية سواوه<sup>(٢)</sup> عقارات فلاحية مجاورة لأملاك

---

(١) حادثة اليهودي رواها لي في طرابلس ( الياهو أبوهـارون بن عقبة القفصية ) وصلة الشتيوي ورمضان بهم ، وكان أبو هارون في آخرته تاجراً في مدينة طرابلس بالمواشي بين طرابلس وبنغازي كحرفة والده قبله .

(٢) حادثة ( حواء غبان ) أخذاً من رواية ( فرج بن محمد الجريو ) المتقدم ذكره وغيره من أقارب رمضان وعن الحاج علي الضراط .

الشتيوي ، وإذا بلقاسم لم يقتصر في مجونه وعبثه على المواطنين والجهات الأخرى ، بل تعداها إلى سواوه ، فأخذ يتردد فيها على امرأة اسمها «جواء غباين» ، غير عفيفة وذات حسن جذاب وأنوثة ، وكانت قبل ضياع شرفها ، تقوم بخدمة في منازل أسرة الشتيوي ، فلما ساءت سمعتها طردت من خدمتها ، والتزمت الإقامة في قريتها سواوه .

## الفصل الثالث

### اغتيال لابي القاسم ودوافعه

وكان أبو القاسم<sup>(١)</sup> في ذهابه وإيابه ، إلى تلك المرأة في سواوه ، يمر من سواني الشتيوي وما حولها ، فعم استياء الشتيوي وأبناءؤه وناس الزاوية من هذا المرور ، لما فيه من عدم الحفاظ على كرامتهم وشرف سمعتهم ، ولأنهم يخشون أن تمتد به التهمة ، إلى نساء الزاوية المصونات ، اللاتي هن أمنع عليه من عقاب الجو ، وليس في هذا الاستياء الساخط من غرابة ، فالإنسان متى كان معروفاً بسيرته الذميمة ، ويشاهد ماراً بين أو قرب الأحياء الآهلة بالسكان في المزارع والمنازل ، فمن حق هؤلاء إنذاره أكثر من مرة ، باتخاذ طريق آخر له بعيداً عن منطقهم ، حتى لا تنشأ فيها به الظنون السيئة ، ولكنه لم يأبه لذلك ، وأنى له أن يرتدع عن خيلائه وغروره ،

---

(١) عن الحاج علي الضراط ، أحد أعيان مصراته ، المعروفين بالصلاح والتقوى ، وعلى الرغم من كبر سنه عام ١٩٧٢ م ، فهو لا يزال صافي الذهن حاضر الوعي ، وقد عاصر كلا من الشتيوي وابنه رمضان ، وأخبره عنها يعتبرها المؤلف ثقة ، وستأتي له في هذا الكتاب روايات أخرى .

ما دام والده وأخوته رغم مفسده المتفاقمة لم يكبحوا جماح نفسه  
الباغية .

ومهدت الأقدار ما ينتظره من المصير المشئوم <sup>(١)</sup> ففي إحدى الليالي جاء  
لمنزله الخاص بسواوة ، ومعه أصحاب سمره وطربه ، ومنهم تابع له اسمه محمود  
الشركسي الملقب بالباشا ، فلما لعبت الخمرة برأس بلقاسم ، حتى لم يعد يعرف ما  
يحدث به ، طلب من تابعه أن يحضر له ( حواء غباين ) من حي الشتيوي ، وأدرك  
رفاقه خطورة وسوء عريده ، بذكر المرأة وتعيين محل وجودها ، لا سيما  
وان آل الشتيوي قد طردوها من خدمتهم منذ مدة ، لذلك لم يجرأ تابعه  
ولا غيره ، أن يخطو خارج المكان لتنفيذ طلبه ولا خطوة واحدة .

وتصادف أن أحد الذين ، كانوا في تلك الليلة مع بلقاسم وقيل هو محمود  
الشركسي نفسه أن أخبر رمضان بما تفوه به صاحبهم عن حواء غباين ومكان  
وجودها ، فتضاعف سخط رمضان عليه ، وصمم في نفسه أن يجعل لاستفزازاته  
لهم حداً ، وفي يوم من أسواق المواطنين الكبيرة ، بينما كان رمضان جالساً ، أمام  
متجر الزعلوك المتقدم ذكره ، مر به بالقاسم مع بعض أصحابه ، فخاطبه رمضان  
قائلاً لقد بلغني ، ما تفوهت به عنا في تلك الليلة ، عندما كنت بمنزلك في  
سواوة ، مما نعدده ماساً بشرفنا وكرامتنا ونصحه بأن لا يعود لمثله ، وأن  
يتنحى عن المرور إليها من منطقة سوانهم .

عندئذ انفجر بلقاسم غضباً على رمضان ، ووجه إليه ألفاظاً غير مهذبة ،  
وفي أثناء هذا الموقف المثير للأعصاب ، برهن رمضان أمام الجمهور المحتشد  
على رجاحة عقله ، وقوة إرادته في احتماله للمكاره ، فبدلاً من أن يرد عليه  
بما يزيد الأمر تفاقمًا بينهما ، تركه بحالته المضطربة ودخل إلى متجر الزعلوك

---

(١) رواية الحاج فيتوري السويحلي المذكور في المقدمة إلى وقوع الاغتيال والقبض على  
رمضان .

فجلس فيه ، ونوى له في نفسه أمراً ، ثم رجع إلى الزاوية وعلامات الانقباض ظاهرة على وجهه وكتف الحادث عن أبيه .

غير أنه جاء من أخبر الشتيوي ، بما جرى لابنه رمضان يوم السوق مع بلقاسم ، وإن رمضان لم يرد عليه بشيء ، ولم يبادله التهجم عليه بمثل ، فذهب الشتيوي إلى ابنه ثائراً وشرر الغضب والانفعال يتقد من عينيه ، ورماء بأقبح الشتائم والسياب لجبنه وضعفه أمام خصمه ابن المنتصر ، بدلاً من أن يصصره ويقضي عليه ، رداً لشرفه عن الإهانة التي ألحقها به في يوم سوق كبير ، وكاد يصفعه لاشتداد سخطه منه ، لما أورثه إياه بذلك من العار في البلاد غير أن رمضان أسرع فتواري ، ثم ذهب الشتيوي بحالته الغاضبة إلى والدته ( منى ) ورمائها بكل نقيصة في ذريتها ، قائلاً يا عربية انك لم تلدي حتى الآن ، ابناً تفخرين بشجاعته وإبائه الضيم والذل والمهانة ، وسوف نرى إن كانت السيدة ( منى ) تستحق من زوجها هذا الوصف ، أم أنها حقاً أتت له بخيرة الرجال وسيد الأبطال .

والواقع أن رمضان لم يكن أمام خصمه في ذلك اليوم ، جباناً ولا رعيدياً ، وهو من تجري في دمائه ، أوصاف الشمم والبطولة ، وإنما آثر أن يرجىء حسابه معه إلى الوقت المناسب ، ولم يلبث طويلاً حتى اختلى سراً في المواطنين ، هو وعقوبة وتدارسا الخطط التنفيذية ، لاغتيال بلقاسم ، جزاء له من الله على ما اقترفه من الشرور في البلاد ، واعتداءاته على أعراض الناس الضعاف ، واستهتاره بقمم الفضيلة والكرامات الموفورة ، واتفقا متى يعلم عقوبة بسفر بلقاسم إلى مدينة طرابلس المتردد عليها دائماً ، أن يذهب في أثره متظاهراً بإتمام شؤنه التجارية فيها ، وأت يبرق له عن يوم رجوع بلقاسم بإشارة رمزية متفاهمين عليها ، وفجأة تلقى منه برقية تفيدة ، أنه أرسل له من طرابلس البقر المطلوب ، وأدرك رمضان المقصود فبادر بمصارحة والده بما دبره هو وعقوبة لغريمهما .

وبعد أن عمل ترتيبه للملاقاته في عين كعام ، ركب هو وأخوه أحمد جواديهما ومعهما شخص من أتباعهما اسمه ( محمد الفنيك ) ، فاتجهوا إلى زليتن ونزلوا فيها ضيوفاً وقت المساء عند صديق أسرته المسمى ( محمود الهدلولي ) أحد أعيان جهتها الغربية المسماة سوق الجمعة ، وسألهم عن سبب قدومهم المفاجيء ، فأخفوا عنه حقيقة قصدهم ، وأجابوا فقدنا في مصراته بعض البقر فجئنا نبحث عنه في زليتن ، ورد عليهم كونوا مطمئنين فعليكم بالرجوع إلى مصراته ، وإذا كان البقر قد جاء إلى زليتن ، فسوف أتحصل عليه وأبعثه لكم ، فأظهروا سرورهم وامتنانهم منه ، وقاموا مبكرين فركبوا خيولهم واتجهوا أمامه شرقاً نحو مصراته ، ولما تواروا عنه أداروا أعنة خيولهم غرباً نحو عين كعام .

وبينما هم عندها ينتظرون عودة بالقاسم من طرابلس ، صهل حصان رمضان إذ شم رائحة فرس بالقاسم ، وكان معه تابعه « محمد درم » ، فقال له يا بك هذا الصهيل هو لحصان رمضان الشتيوي ، فلننحرف من طريقه لجهة أخرى فوافقه ، ولكن محمد الفنيك شعر به فأخبر رفيقيه عنه .

لحظتند أسرع أحمد السويحلي بحصانه وراء بلقاسم ، حتى أمسكه من جرده عند رقبتة ثم جاء رمضان وقابله من أمامه صاحباً بندقيته ، وأفرغها في صدره فسقط على الأرض يتخبط بدمه وفارق الحياة ، وكان ذلك يوم الأربعاء ، آخر شهر رجب سنة ١٣٢٧ هـ و ١٢ أغسطس سنة ١٩٠٩ م .

وهناك رواية تقول أن بلقاسم كان فارساً شجاعاً ، فلما أحس بالخطر سحب غدريته وهجم على أحمد فأطلقها عليه ، وأصابه عيارها في كتفه ، ولكن المصادر السويحلية تنفي ذلك ، وعند حصول المفاجعة فر « درم » يجري بحصانه ، فلحقه رمضان وكاد يفتك به ، فاستجار بالله منه ، واسترحمه الأبقاء على حياته ، فتركه ، ولما ذهب درم إلى زليتن ، أبرق لأبناء

عمر المنتصر في طرابلس بما جرى لأخيه في عين كعام ، ثم انه على أثر اغتيال  
رمضان له عملاً بقول الشاعر :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

بادر الاثنان فوراً بالرجوع نحو مصراته ، ثم اختفيا عن مطاردة الجندرمة  
( رجال الأمن ) في منطقة الكثبان الرملية ، الممتدة على شاطئ البحر  
بين مصراته وزليتن ، وأقاما بهذه الجهة في محل له نخيل وماء يسمى  
( شواظه ) .

وحين أخبر الشتيوي بأنها قتلا بالقاسم المنتصر ، استنفزه الفرح العظيم  
والرضاء عنهما ، وذهب مسرعاً يهنيء زوجه ( منى ) بأنها حقاً أنجبت له  
فارسين ، حرية بأن تفخر بهما وتستحق منه على ذلك أن يكرمها ، فيشيد  
لها غرفة لإقامتها الخاصة رمزاً لعلو قدرها عنده ومكانتها في قلبه .

### دحض تهمة عن سبب الاغتيال :

وما دمنا في مجال الكلام عن الدوافع الكثيرة ، التي أدت إلى هذا  
الاغتيال ، نشير إلى أن الذين يكرهون رمضان وأسرته لأسباب عاطفية  
وحزازات قبلية ، يزعمون للخط من شرف أسرته العظيمة ، والإساءة إلى  
كرامتها وسمعتها ، أنه لم يقتل بالقاسم إلا لأن هذا كان قد اختطف  
شقيقته المسماة أم السعد .

ونظراً لذبوع هذه الشائعة على ألسنة القدامى في مصراته ، وتسربها بالتواتر  
الباطل في مصراته للآن ، لذلك خدمة لحقائق التاريخ بذلنا عنها أعمق الدراسة  
والتنقيب ، إلى أن توصلنا لإجلاء ترهاتها الشائعة وحديثها الأفكي ، بالوثائق  
الرسمية والحجة الشرعية ، وأنه التبت عليهم الحقيقة ، بفتاة أخرى بهذا

الاسم اعتدى عليها بالقاسم .

وإيضاحاً للواقع المعزز بالأسانيد ، نقول بخصوص الموضوع ، أن بالقاسم لم يكتف باعتدائه المتكررة على المسكينة ( حواء غباين ) ، بل تجاوزها بالمثل إلى أختها البكر العذراء المسماة ( أم السعد <sup>(١)</sup> بنت علي عبد الدائم ) ، فاختطفها وظل يغتصبها في بيت سري له بالمواطنين مدة ثلاثة أشهر .

ولما اشتد بحث أهلها عنها بواسطة حكومة مصراته ومراقبته ، خاف الاهتداء إليها عنده فركب جواده وأردفها وراءه ، ثم ذهب بها مع أحد أتباعه إلى زليتن ، وهناك تركها بمنزل شخص يعرفه اسمه ( سليمان كرم ) ، وأخبر سليمان أهلها فجاءوا إليها ، وأجريت لها قاتقامية زليتن ، فحسباً طيباً مع قابلة فثبتت جنابة بالقاسم عليها .

وفي يوم <sup>(٢)</sup> ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٩ ، أرسل ( محمد <sup>(٣)</sup> أمين بك المهدي ) قاتقام مصراته ، أرسل برقية إلى رئيسه متصرف الخمس ، ومنه لمركز الولاية ، تفيد العثور على الفتاة أم السعد المختطفة ، بالكيفية المسبوق ذكرها ، وأنها تشكر الدولة التي أخذتها وأرجعتها إلى أهلها ، وترجو أخذ حقها والانتقام لها منه .

وأم السعد السويحلية ذات الطهر والعفاف ، والتي الوصول إليها بغير

---

(١) أخذاً من ملفات الأوراق المتعلقة بقتل بالقاسم والتحقيقات القضائية والبرقيات حول ذلك وهي المودعة في دار المحفوظات التاريخية والأثرية بقلعة مدينة طرابلس .

(٢) فلنلاحظ من هذا التاريخ أي ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٩ ، أن العثور على أم السعد بنت عبد الدائم في زليتن كان قبل اغتيال بلقاسم بنحو ثلاثة وأربعين (٤٣) يوماً إذ اغتيل كما تقدم في ١٢ أغسطس سنة ١٩٠٩ .

(٣) محمد أمين بك المهدي هو والد شاعر ليبيا البليغ أحمد رفيق المهدي .

ما أباحه الشرع الشريف، أُمِنَع عليه من عقاب الجوّ، فهي البنت الثانية للشتيوي من زوجة ( منى ) ، ويوم اغتيال بالقاسم ، كانت لا تزال دون الحلم لا تدرك من الدنيا شيئاً ، هاجرت إلى مصر مع أخيها أحمد بك وأسرتة ، وتزوجها هناك عذراء ، ابن عمها الصميم الحاج فيتوري السويجلي ، ولم ينجب منها نسلاً .

وبعد زوال الحكم الايطالي ، رجعت إلى مصراته مع أخيها أحمد بك وأسرتة ، ومنذ نحو تسع سنوات توفيت ، ونظراً لأن ابني أخويها الحاج الشيباني بن حمد السويجلي ، وسالم بن سعدون السويجلي ، يريدان أن يحصرا تركة أجدهما لأسباب وراثية ، فقد تحصلا في السنة الماضية ، على العلم والخبر بذلك من مختار محلة الخروبة « الشيخ علي محمد الهماي » بتاريخ ٦ ربيع أول سنة ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩ أبريل سنة ١٩٧٢ م يقول فيه بالنص :

« أشهد أن المواطنة أم السعد بنت الشتيوي السويجلي ، ومنى بنت الحاج سالم ، قد توفيت بمصراته بتاريخ ١٩٦٥/٦/٢٤ ، وهي عديمة الذرية ، وليس لها وريث سوى ابني أخويها ، وهما الشيباني بن أحمد السويجلي ، وسالم بن سعدون السويجلي »

وطبّع بختمه الرسمي هذا العلم والخبر ، وصدق عليه كل من مدير زاوية المحجوب ومتصرف مصراته .

وبهذا الدحض التاريخي والمستندات الرسمية التي أخذنا عنها ، يظهر لنا جلياً البون الشاسع الزمني ، بين حياة أم السعد بنت علي عبد الدائم ، وأم السعد بنت الشتيوي السويجلي ، وبين منزلة الاثنتين العائلية والاجتماعية ، فبأي حديث بعد ذلك سيرجفون ، عن الذين صان الله أعراضهم وبرر جهادهم ، وويل للذين يحبون أن يأكلوا لحم اخوانهم ميتاً ولا يكرهونه .

وبعد ما دحضنا تاريخياً وتحقيقاً الفرية القائلة ، عن صلة الاغتيال ببنت

الشتيوي ، نخب أن نجمل القول في ، أن اغتيال رمضان لبلقاسم ، كان ناجماً عن أسباب كثيرة ومنها :

- ١ - استفزازة إياهم أن يمنعوا مروره من سوانتهم .
- ٢ - مساسه بكرامتهم ليلة عربدته بسواوة .
- ٣ - تعريضه<sup>(١)</sup> برمضان في بعض أحاديثه ، كونه ابن عربية ذات شراريب ، إذ كانت « منى » وهي فتاة تلبس رداء نسوياً له عند خصرها ، زوائد قصيرة تتدلى منه لعند ركبتها للحلية والزينة كعادة فتيات جيلها .
- ٤ - تهجمه عليه بألفاظ غير مهذبة في سوق المواطنين الكبير أمام الناس .
- ٥ - عدم مراعاته كرامة آل الشتيوي ، في صلتهم بعميلهم ( عقيب ) فاغتصب إحدى قريباته .
- ٦ - كسره حرمة واعتبار آل الشتيوي باعتدائه على خادمتهم « حواء غباين » ثم اغتصابه فيما بعد أختها العذراء ، التي طالما كانت تحمي نفسها منه باللجوء لكنف السويحلية ، ولعل هذا السبب الأخير ، كان من أهم وأقوى الدوافع ، التي حملت رمضان على قتله ، نخوة منه وغيره على الأعراض المباحة لكل عابث ، لانحرامها ممن يذود عن شرفها وعفافها .

ورمضان في غيرته على أعراض المواطنين اللائي يجاورنه أحياء ومساكن ، كان له مثيل في هذه المروءة ، وهو الفارس البطل خليفة بن عسكر<sup>(٢)</sup> الزعيم

---

(١) رواية الوجيه الحاج علي الضراط المتقدم الذكر .

(٢) أخذاً من مقالات الأديب محمد سعيد القشاط عن ثورة خليفة بن عسكر نشرها في جريدة الثورة المحتجة بتاريخ ٥ رمضان سنة ١٣٩٠ هـ و ١٣ و ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧٠ م .



صورة خليفة بن عسكر بطل وزعيم الجبل الغربي في زي الطاقية (الشاشية)  
الواسعة ، المناسبة للبرنس المذهب الرقبة المخلوع عليه من سلطان تركيا  
تقديراً لجهاده .



الأول للجهاد الوطني في الجبل الغربي ، الذي قام بثورته هناك على الطليان ، لأن الضابط الإيطالي حاكم نالوت ، أراد أن يتزوج بفتاة منها ، وهي لا تربطها بخليفة بن عسكر صلة قرابة ، ولا نية خطبتها له أو لأحد من أسرته ، وإنما هي بدافع مروءة الأبطال ، وغيره على المسلمات ربات الحجال .

ويقول الأديب الصحفي « محمد سعيد القشاط » عن خليفة بهذا الخصوص ما يأتي بالنص : « وجاءت الفترة التي طفحت بالكأس ، وجعلت خليفة بن عسكر يعلن الثورة ، فقد طلب الحاكم العسكري الإيطالي لنالوت ، من عميد بلديتها « عمر بن عسكر » وقائما نالوت « خليفة بغني » أن يزوجه فتاة من نالوت ، البلدة المسلمة المحافظة ، يطالبها إيطالي « كافر » بتدنيس شرفها ، يا لها من طامة كبرى ، فثار خليفة ولم يرض بهذا العار ، وشم أخاه عمر ابن عسكر الأكبر منه سناً ، وبسبب غيرته على أعراض المسلمين من أن يدنسها عدو كافر ، كانت في الجبل الغربي ثورته المجيدة ؛ وقد استمرت عدة سنوات ، تمكن فيها بعد معارك طاحنة مع العدو بأراضي « الجويبية » ووادي نالوت ، وسنّاون ، ودرّج ، ورملة ومزّزم وفي هذه قتل قائد الجند الإيطالي « تمكن على أثرها من احتلاله لنالوت أكبر مدن الجبل الغربي وأهمها ، ومد نفوذ حكمه على جميع ملحقاتها ، وكبد الطليان أثناء صراعه معهم أفدح الخسائر البشرية في الأرواح والأسرى ، وغنم منهم أضخم كميات الذخائر والأسلحة والمهمات العسكرية وقطع لهم الاتصال بينهم وبين فزان عن طريق غدامس .

## الفصل الرابع

### محاکماتہ وشہودہا وبرادۃ

القبض علی الشتیوی وولدیہ :

وكان رمضان وأحمد مدة أربعة أشهر تقريباً من اختفائها في «شواظة»  
يترددان ليلاً المرة بعد المرة على منزلها بالزاوية بصفة سرية ، ووصل  
إلى شرطة مصراته خبر ذلك التردد ، وبعد مجهود للشرطة من الكائن  
الليبية حول منطقة مساكنهم ، استطاعت أخيراً وهما يتسللان في الظلام  
إلى منزلها ، أن تفاجئتهما بغتة ، وتحيط بهما من كل جانب ، وتأكدوا  
أن مقاومتهما غير مجدية فسلما لها نفسيهما .

ولما تم القبض عليهما والقبض معهما على والدهما ، أرسل متصرف  
الخمس إلى مركز الولاية بتاريخ ١٦ ذو القعدة ١٣٢٧ هـ الموافق ٢٩ نوفمبر  
سنة ١٩٠٩ م برقية هذا نصها : « أعرض بناء على إشعار محلي أن الشتيوي ابن  
مفتاح ، وولديه رمضان وأحمد ، قتلة بلقاسم المنتصر سيقوا بقيادة اليوزباشي

ابراهيم بك<sup>(١)</sup> في الساعة العاشرة من ليلة البارحة ، مخفورين من مصراته بالمفرزة الخيالة » وعندما وصلوا إلى طرابلس أودعوا انتظاراً للمحاكمة في سجن القلعة المسمى وقتئذ بالتركية « كلاه خانة » .

وضم إليهم في السجن كل من محمد بك المنتصر ، وعبد العظيم المنتصر ، إذ كان أبناء عمر المنتصر ، قد اتهموها أيضاً بالاشتراك مع أولاد الشتيوي ، بتدبير الاغتيال لبلقاسم ، وسر هذا الاتهام لأقربائهم دماً ولحماً ، هو نشوء عداوة كبيرة وقوية لهم معها ، لمنازعات عقارية بينهما ، ولأنهما كانا يشنعان دائماً بمصراته على أخلاق بلقاسم الرذيلة ، ويحذرانه دائماً عاقبته السيئة ، إذا لم يسلك طريق الاستقامة والتزام الفضيلة .

وفي أثناء هذه الحوادث ، كان عمر بك المنتصر قد جعل لابنه الأكبر أحمد بك الوكالة الشرعية العامة عنه ، في جميع ما يتعلق بقضاياه وحقوقه وشئون أسرته ، وبينما رمضان وأخوه أحمد ، في حالة متأثرة زاد في تكدير خواطرهما أمران محزنان ، أولهما : وفاة والدهما في السجن بمرض الحمى في سنة اعتقالهما ، ودفن في مدينة طرابلس بمقبرة سيدي منيذر ، وثانيهما : ما بلغها عن تعرض أملاكهم وأسرته بمصراته ، لكثير من عوامل الأذى والأضرار ، من قبل أبناء عمر المنتصر بواسطة أتباعهم ، كرد فعل انتقامي لفاجعتهم بقتل أخيه .

يدل على هذا أن الأخوين بعثا من سجنهما للوالي برقية جاء فيها : « إن الدولة التي حبستنا تحرياً لإظهار الحقيقة ، فقد تركنا وراءنا أسرة ، تتعرض لاضطهاد المناصرة وأعدائنا ، لذلك نطلب من عدالة الدولة ، أن تعمل لحماية حقوقنا وأسرتنا مدة حبسنا » .

---

(١) اليوزباشي ابراهيم بك هو ابن حسونة باشا القره ماقلي ، والمستشهد في قتال الطليان بجنزور .

وبعد مدة قليلة من حبسها ، بوشر معها التحقيق القضائي في التهمة الجنائية الموجهة إليها ، وكان أول النظر في قضيتها بحكمة استئناف طرابلس ، وتألقت هيئتها الرسمية الأولى ، من السيد بك بلحاج رئيساً ، وعثمان بك توحيد المدعي العام ، وأعضاءها هم توفيق أفندي ، وعلي غالب أفندي واليهودي سلمان أفندي ، وأما المستشارون فكان منهم محمد بك الفقيه حسن ، والشيخ محمد البصري ، وكان محامي المناصرة قدري أفندي الجزائري ، ومحاميا أبناء الشتوي هما كمال بك وعبدالله أفندي بنون .

ومما يؤيد تواطؤ « عقيبة القفصية » مع رمضان في اغتيال بلقاسم وإخلاقه له والوفاء بصحبته ، أنه <sup>(١)</sup> أثناء سجنه مدة عامين تقريباً ، لم يفتر عن مده بالمال اللازم للمحامين وغيرهم ، لدرجة أنه عندما كان لا يجد نقوداً متوفرة في خزانته ، يبادر فيعرض الكثير من سلعه التجارية للدلالة في سوق المواطنين ، وبيعها بالأثمان البخسة ، ليُتموّن بها احتياجات رمضان الضرورية له ولأسرته ، الأمر الذي جعل عقيبة بمصراته وقتئذ ، ذا منزلة محترمة لدى أعيانها وشيوخ قبائلها ، تقديراً لاعترافه بحميل آل الشتوي عليه .

ثم ابتدأت المحكمة عملها ، بأن عرضت أبناء الشتوي ، ومحمد بن مصطفى المنتصر وعبد العظيم المنتصر ، مع طائفة من الأشخاص الآخرين ، ليتعرف على المتهمين شهود الاثبات ، الذين أتى بهم أحمد بك المنتصر قائماً رهونة .

وكان هؤلاء عدة أنفار ، أكثرهم من رهونة وأزياء البستهم موحدة كالجند ، ولما شرعت في استجوابهم تبين لها ، أن كلامهم يوحي بتلقينهم

---

(١) رواية الحاج الشيباني أحمد السويحلي .

إتياء ، لما كان فيه من الاتفاق غير الاعتيادي ، عن سبب حضورهم يوم  
حادثة القتل لعين كعام ، وعن كيفية حصول الاغتيال ، وعن عدد  
الذين قاموا به .

ونظراً لكثرة هؤلاء الشهود ، واتفاقهم في إجاباتهم للمحكمة ، فإننا  
نقتصر على إفادة ثلاثة منهم ، كنموذج تلخيص لكلام البقية ، فإن  
كلاً من الشهود الثلاثة « الحاج محمد بن عون » و « محمد بن علي السائح »  
و « أحمد بن محمد الهالي » اتفقوا أقوالاً في حادثة الاغتيال بأنهم :

أ - شاهدوها لمناسبة مجيئهم يوم الأربعاء من تrehونة إلى زليتن بقصد  
التجارة ، مارين إليها من عين كعام .

ب - وأنهم تعرفوا على المتهمين محمد بن مصطفى المنتصر ، وعبد العظيم  
المنتصر ، إذ كانوا قد رأوها من قبل في تrehونة ، عند قائمقامها أحمد  
بك المنتصر .

ج - وأن الذين اشتركوا في الاغتيال ( ٨ ) ثمانية أشخاص ، منهم  
ثلاثة فرسان وخمسة مشاة .

وأما الشاهد أحمد الكيش بن علي ، وعمره خمسة وخمسون سنة ، لما  
قال انه يعرف المتهمين ، رد عليه رمضان قائلاً للمحكمة : إن أحمد المنتصر  
قائمقام تrehونة ، هو الذي لقنه الإجابة الباطلة ، وأن لديه ما يثبت  
كون هذا الشاهد يوم الحادث لم يكن موجوداً في البلاد بتاتاً .

ولعدم اقتناع المحكمة بالأقوال التي أدلى بها أمامها شهود الإثبات ، المليئة  
بالاضطراب الكلامي ، ونقصان الأدلة المقنعة بصحتها ، فضلاً عن ظهور  
قرائن لمحاولات التأثير على المحكمة ، بالنفوذ العائلي والسياسي من طرف  
المدعين ، لإصدار حكمها لصالحهم ، لذلك قررت إحالة القضية مع أطراف  
النزاع ، لمحكمة استئناف رودس ، لبعدها عن أي تأثيرات قبلية وحركات

جهوية تحدد من نزاهة العدالة .

فأرسلوا جميعاً ( المدعوون والمتهمون ومن له صلة بأحد الطرفين ) إلى رودس بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٩١١ م بواسطة والي طرابلس ، ورد عليه والي جزيرة رودس بتاريخ ٦ يونيو سنة ١٩١١ م أنهم قد وصلوا إليها ، وتولت شرطتها سجنهم وحراستهم . وبعدما استمعت محكمة رودس لأقوال شهود الإثبات ، ودفاع محامي المتخاصمين ، ودرست القضية بإمعان ودقة من جميع الوجوه ، أصدرت حكماً ببراءة كل من رمضان وأحمد ومحمد ابن مصطفى المنتصر وعبد العظيم المنتصر ، من تهمة اغتيالهم لأبي القاسم ، نظراً لعدم كفاية الأدلة ، التي قدمها المدعون ضد خصومهم .

وقيل<sup>(١)</sup> أن هذه البراءة المطلقة ، بالنسبة لرمضان وأحمد ، تداخلت فيها عوامل سياسية ، بواسطة بهجت بك قائمقام مصراته سابقاً ، الذي كان أثناء اشغاله منصبه فيها يعمل بارادة صلبة ، للحد من نفوذ عمر بك المنتصر وأولاده في البلاد ، فما زال هؤلاء يسعون لدى المساندين إياهم بالمال ، في ولاية طرابلس واستانبول حتى عزل بهجت ، ولما رجع لتركيا فضح صلتهم الخفية بإيطاليا ، وإنهم كانوا في مصراته المعطلة لكل اتجاه حكومي للإصلاح والعدالة يرونه في غير مصلحتهم .

هذا ولقد كان رمضان فارط الذكاء ، باختياره ملاقاته خصمه في الصباح المبكر بعين كعام ، إذ في هذا الوقت طريقها منقطع من السابلة غالباً ، ولا يتوفر منهم شهود إثبات نزاهة لابن المنتصر ، تأخذ المحكمة بأقوالهم غير مشكوك بعدم صحتها ، ولا صلة هؤلاء بأرباب الدعوى بتاتاً .

---

(١) عن رواية المجاهد فرج بن محمد الجزيري الزريقي المتقدم ذكره ووصفه .



إذ حسبوها انتقاصاً كبيراً لشأنهم وهيبتهم ، ثم أن أحمد المنتصر بعد أن فشل رغم ما بذله من مال وجهود سرأً وعلناً ، لإدانة رمضان على الأقل ولو بحكم غير شديد ، لم يحتمل العودة إلى طرابلس خائباً فرداً ، لاعتبار ونفوذ أسرته ذهب فوراً من رودس إلى روما ، إذ كان هو والدة في آخر الحكم التركي ، منضمين سرأً في طرابلس ، لعملاء إيطاليا المحبذين استعمارها لليبيا ، وكانوا جميعاً على صلة بهذا الخصوص مع قنصلها العام بطرابلس ، ويمدهم بنك روما بالأموال الطائلة تحقيقاً لسياسة دولته في البلاد . وفي روما تفاهم أحمد المنتصر مع إيطاليا ، عن كيفية احتلالها لمصراته ، عند مباشرة غزوها لليبيا ، والدليل على هذا ، أنها حين أخذت مصراته لأول مرة في ( ٨ يوليو سنة ١٩١١ م ) جعلت أخاه سالم بك المنتصر أول قائمقام عليها<sup>(١)</sup> .

---

(١) نحب أن نشير إثباتاً للحقائق ، أن مسألة اغتيال بلقاسم ومحاکات رمضان ، وتأيبس عمر المنتصر وأولاده للحكم الايطالي أرادت هذا أخيراً حتى جريدة الثورة ( الفجر الجديد ) في عدد ( ٥٧٢ ) وتاريخ ( ٦ يوليو سنة ١٩٧٤ م ) لمناسبة الندوة التاريخية التي عقدتها رسمياً ( المؤسسة العامة للصحافة ) يوم ذكرى معركة القرضابية .

## الفصل الخامس

### التعريف بإيطاليا لمناسبة غزوها

وتنويراً لذهن القارئ عن إيطاليا . التي غزت ليبيا ، رأينا من المناسب قبل الدخول في حوادثها الحربية مع الليبيين ، أن نعرفه بتاريخها الحديث ، وبالخطط والأسباب الدولية والسياسية ، التي اتخذتها فاحتلت بها ليبيا .

فإيطاليا عبارة عن الشعب الذي يسكن شبه الجزيرة المعروفة باسمه ، وهو أصلاً من ذرية الرومان ، وبعد أن اضمحل في آخر القرون الوسطى ، الرومان البيزنطيون سنة ١٤٥٣ م على يد السلطان العثماني محمد الفاتح ، تكاثرت على إيطاليا غزوات الدول الأوروبية القوية ، فأخذت النمسا من بلادها طرفاً من الشمال ، واستولت فرنسا على بعض من أراضيها الغربية ، وسيطر البابوات على روما والمناطق المجاورة لها ، وانشأوا فيها حكومات خاضعة لنفوذهم الديني ، وتكونت في جينوا والبندقية ونابلي وصقلية وسردينيا دويلات جمهورية صغيرة .





- ومن الدوافع الحربية والسياسية التي شجعتها على أخذ ليبيا :
- أولا - تكاثر سكانها واحتياجها إلى أرض يهاجرون إليها ، ليستخدموا فيها نشاطهم العلمي والاقتصادي .
- ثانيا - كبر مساحة ليبيا وقربها بجزراً إلى بلادها شبه جزيرة ايطاليا .
- ثالثا - ضعف الدولة العثمانية الحربي والبحري ، وعجزها عن صد الغزو الايطالي عسكرياً للسببين المذكورين .
- رابعا - اطمئنانها إلى تأييد الدول الأوروبية الكبرى لها في هذا الموضوع ولا سيما منها فرنسا وانجلترا أي بريطانيا .

## الفصل السادس

### قيادة لمحة مصراته بمعركة الهائي

وفي (٥) خمسة اكتوبر سنة ١٩١١ ، نفذت ايطاليا غزوها لليبيا بقوات بحرية وبرية هائلة ، قدرت بنحو مائة (١٠٠) ألف جندي ، وعلى أثر ذلك دوت في قبائل مصراته بعد براءة رمضان طبول الحرب والجهاد ، كما دوت أمثالها في جميع أنحاء طرابلس وفزان ، معلنة الاسراع للكفاح الباسل ، ضد عدو البلاد والإسلام ، الذي نزلت جحافل بمدينة طرابلس ، وذوداً له عن حمى الأعراض والوطن .

وجاءت خفافاً لملاقاته بالحماس الملهب ، عشرات الألوف من المتطوعين ، جاءوا إليه من مرزق وغات جنوباً ، إلى جبل نفوسة وزوارة شمالاً ، وكانوا فرساناً ومشاة ، وعتادهم أنواع شتى من البنادق والأسلحة البيضاء ، من السيوف والخنجر والفؤوس ، ومدفعان أو ثلاث من طراز قديم يديرها بعض الأتراك ، إذ أن الخائن لدينه وأمته ، رئيس الوزارة التركية ( حقي باشا ) ، كان وهو





هذه صورة المشير ابراهيم أدهم باشا آخر الولاة الأتراك  
العظام على ليبيا ، وكان مهتماً بتقوية البلاد حربياً ، ومن ألد  
أعداء ايطاليا ، فعملت سياسياً وتآمرياً على عزله .











البطولية وتضحياتهم في قتاله .

رابعاً - وثّق صلة الأخوة الوطنية وتوحيد الهدف والكلمة بين جميع أفراد وزعماء البلاد ( والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ) .

ولقد استشهد في معركة شارع الشط والهاني من متطوعي مصراته خاصة ومن غيرهم بصفة عامة ، أعداد كبيرة من الأنفس الطاهرة ، وتعتبران أولى معارك الغزو الإيطالي الخالدة بتضحياتها ومظاهرها بالنسبة للشعب الطرابلسي ، على الرغم من الفارق القياسي العظيم بين الطرفين في العدد والعدد .

## الفصل السابع

### كيفاحه لنزول العدو بمصراته

وبعد الهاني لما اشتد على رمضان آلام جرحه ترك اخوانه في طرابلس مع باقي الأفواج المتطوعة ، ورجع هو لمصراته لاتمام المعالجة لصابته .  
وكان الطليان قد لاحظوا أهمية مصراته ، للمجاهدين المرابطين قرب مدينة طرابلس ، بالنسبة لأثرها في الامدادات الكبيرة لهم من الجهات الشرقية والجنوبية ، لذلك قرروا العمل لاحتلالها ، وتحقيقاً لفكرتهم هذه أعدوا لها سرّاً حملة بحرية قوية ، وفي يوم ١٦ يونيه سنة ١٩١٢ م غافلوا حراس شطوطها ونزلوا بيميناء قصر حمد ، عند ضريح سيدي بوشعيفة وانتشر خبرهم في قبائل مصراته كوميض البرق .

فبادر الموجودون من رجالها ، ومن بينهم رمضان السويحلي ، والشيخ محمد التريكي الشحومي<sup>(١)</sup> إلى لقائهم وباشروا بسرعة مجابهتهم وقتالهم

---

(١) وكان الشيخ التريكي من كبار المجاهدين في سبيل الله والوطن حضر أهم المعارك النضالية في عهد كل من رمضان وسعدون وإبراهيم ، وقد نشرت مجلة الوحدة =





## الفصل الثاني

### صلح أوشي ونتائج ومَعركة جندوبَة

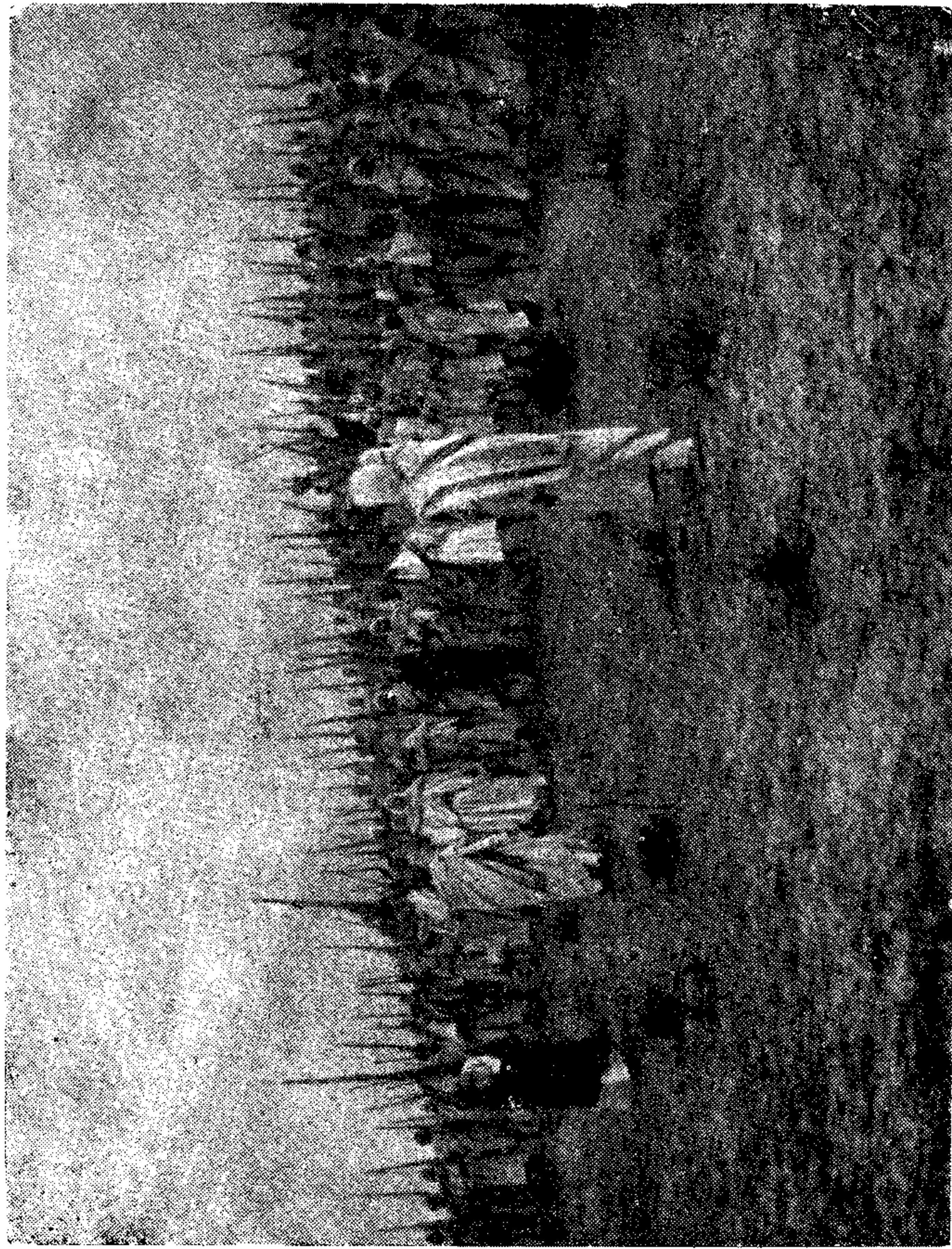
وبعد معركة الرميطة في ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ م عقدت بين تركيا وإيطاليا معاهدة أوشي ، وبموجبها صالحت الدولة التركية إيطاليا لسببين أولهما : لعجزها الحربي عن التغلب على إيطاليا في ليبيا ، وثانيهما : لقيام الشعوب البلقانية المحكومة لها في أوربا ، بثورة ضدها مطالبة باستقلالها عنها ، حتى كادت في ثورتها عليها ، أن تأخذ منها عاصمتها استانبول ، وعند اقرار الصلح انسحبت تركيا من البلاد هي وجنودها بقيادة نشأت بك ، زاعمة تضليلاً لأهلها ، أنها راعت في المعاهدة آمالهم القومية ، فاشتد على إيطاليا أن تمنحهم الاستقلال الداخلي .

وقبل أن يغادر العقيد نشأت بك طرابلس ، كان قد ترك لأعيان وشيوخ المجاهدين في شمال البلاد ، جميع ما كان تحت تصرفه من الذخائر والأسلحة والأموال والمهمات ، وبسفره لتركيا انشطر الأعيان إلى قسمين من الوجهة السياسية فريق كان يرى أن يسالم الناس لعدم مقدرتهم الاستعدادية لاستمرار القتال ،









منظر يمثل أحد محلات ( كتائب ) المجاهدين يستمعون إلى خطاب حماسي من قائد قبيل بدء الهجوم على العدو





أبو سيف جنوباً إلى فزان .

و حين لم يجد الطرابلسيون بعد معركة جندوبة ، أية صفة  
لاعتبارهم السياسي أو الدولي ، ولا موارد عتاد وتموين ، تمكنهم  
من الاستمرار على كفاح العدو ، فاجبروا بسبب هذه الأحوال على  
مسألة الطليان ظاهرياً ، ومترقبين سرأ الظروف الملائمة لمعاودة  
كفاحهم له .











صورة رمضان السويحلي الفارس الفذ ، وبطل القرضابية  
الخالدة وزعيم مصراته وحليفاتها الستة لمناسبة ذكر الأوصاف  
الشخصية التي ذكرها له التقرير الإيطالي .





الطريقة العربية ، الشارب أسود طويل ، وشعر الرأس قليل التجاعيد ،  
ويلبس دائماً الحولى ( أي الجرد ) ؛ على الطريقة العربية الليبية ، وهو  
فارس شجاع ، ماهر في إصابة المرمى ، وتدل ملامحه على حب السلطة ،  
ونظرته نظرة النسر ، قوي العزيمة ، شديد الاندفاع ، قاس شجاع ،  
وميل للأعمال الحربية .







وأفهموه إما أن يقبل هذا التعيين ، ويقوم بمفاوضة صفى الدين ، لاتصاله به  
وباتباعه من قبل ، ليجري مع ايطاليا الصلح ، أو ينفى إلى ايطاليا إذا رفض  
إجابة مطالبهم منه ، ولماذا يرفض ما كلفوه أن يقوم به ، ما دامت  
الأقدار هيأت له السبل لتحرير أبناء وطنه من نير العبودية ، وليجعل  
صحراء القرضابية مقبرة كبرى لجنود عدوه ، ولهذه الأمور قبل الاشتراك في  
الحملة كما قبل بها غيره من الزعماء .











إلى رمضان الشتيوي قائلاً عنه بالنص ( وفي ٢٩ أبريل سنة ١٩١٥ غدير بنسا  
رمضان الشتيوي هو وجميع أفراد الفرقة ، التي كنا قد قمنا بتسليحها إبان  
المعركة ، التي نشبت بين آلاي الكولونيل ميانى وبين الثوار في معركة قصر<sup>(١)</sup>  
بوهادي ، وذلك بأن انقض على الحملة وصب نيرانه على جنودنا ) .

---

(١) يعني غرسياني بقصر بو هادي أرض القرضابية ، وبكلمة الثوار رجال المحلات العربية  
الذين انقلبوا عليهم .

**ملاحظة :** قد مرت وستمّر بنا كثير من أسماء الأعلام للأشخاص والأمكنة لم نذكرها  
بحسب لفظها بالإعراب النحوي مثل ( قصر بو هادي ) أو اللغوي كأرفلة بدلاً على ورقلة ، وإنما  
ذكرناها ونذكرها حسب استعمالها الدارج على ألسنة الشعب ، وعلى قاعدة (الحكاية) في علم النحو.





كَمْ عَلَّقُوا مِنْ بَرِيءٍ فَوْقَ مَشْنَقَةٍ  
وَقَتَّلُوا مِنْ شَهِيدٍ فَوْقَ كُثْبَانٍ  
وَفِي السُّجُونِ رِجَالٌ مَا لَهُمْ عَدَدٌ  
وَالشَّعْبُ يَرْزَحُ مِنْ ظُلْمٍ وَعُدُوَانٍ  
كَذَلِكَ تَارِيخُهُمْ يَا مَنْ لَهُ جَهْلُوا  
وَذَلِكَ تَارِيخُ لَيْثِ الْحَرْبِ (رَمَضَانِ)









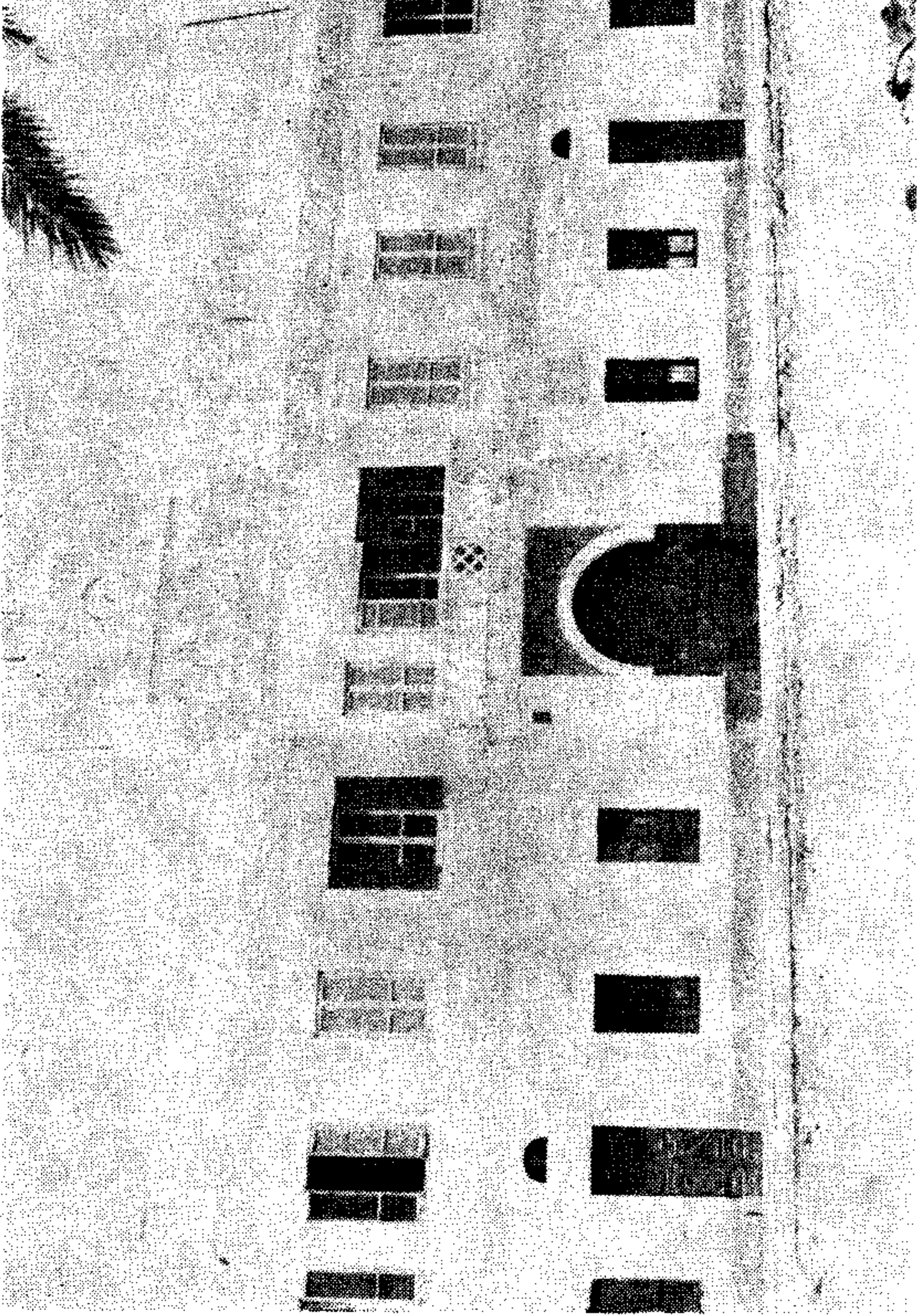












صورة قصر مصراته الذي اجتمع أمامه وقتل الناس ، وأُطل عليهم من شرفته الرئيسية  
صفى الدين فأعلن لهم عزل رمضان وهجره .



عندما شعروا بسفر صفي الدين إلى ورفله لانضمام أكثر المصراطين لرمضان ،  
خافوا أن ينكل بهم لعدم تأييده ، ففروا ليلاً تاجين بأرواحهم إلى سرت ،  
التي كان الطليان قد جلا عنها بعد القرضابية فاحتلها السنوسيون ، ووصلوا  
إليها قبل أن يدركهم رجال رمضان للقبض عليهم .















































































































































































































































































































































































































































































































